مناقشات

يبدو ان الثلج الاسود اقوى من ان يتبدد .. فبعد مـــا وجهه استاذنا الدكتور احمد كمال زكي من نقد للقصيدة ثرت لحظـــة بسبب طريقة فهمه المغلوط للقصيدة وصمت .. وكتبت للدكتور سهيل ادريس قائلا انني اؤثر ان اصمت رغم ان النقد بعيد كل البعد عـــن القصيدة ومحتواها .. وفي عدد آب طالعنا الاخ الشاعر نصار عبد الله بتعقيب اخر ربما كان اقل مغالطة ، لكنه اكثر تجديفا وبعدا عن فحوى القصيدة.

فالدكتور احمد كمال زكي حكم بعدم نضوج التجربة ، وبصعوبـــة تصور صاحبها يتقمص دور المفكر .. ثم انتقل بطريقة محاسبية تنم عـــن قراءة غير واعية للقصيدة الـــى القـــول ان صاحب القصيدة يعتبر ان مأساة انسان العصر ناتجة عن ان مصيره اسود ، ويشتهي ، ولديه قرنا ابليس وقلبه ، وانه يتخفى خلف الكلمات الحلوة .. وتساءل الناقد : هل هذه مبررات للسخط على الانسانية ؟! وقال : لا .. واقول معه ايضا: لا .. ولا .. ولا .. ولكنني سأعود بعد قليل لمناقشة الحساب فيمـــا اعتبره مبررات للنتيجة ..

اما الشاعر نصار عبد الله فحكم على صاحب القصيدة « بالمنطـق المغالط » ، وبان القصيدة دعوة سافرة لتدمير الجانب الانساني فـــي الانسان باسم الحفاظ على الانسانية ، فالانسان في نظر القصيدة ـ كما رآه نصار ـ هو الشهوة وهو الشيطان .. وقد فهم نصار مقطعا واحدا من القصيدة حين قال انها تعتبر الانسانية هي الرجوع الى الصدق .. واراء اخرى سيأتي ذكرها ...

هذا أهم ما قاله الناقدان ..

واود اولا ان انبه استاذنا الدكتور احمد كمال زكي ـ وهو الـــذي يهتم بالبناء الدرامي في القصيدة ، والذي يقوم منهجه في النقد اساسا على التحليل النفسي ومحاولة تتبع تطورات الشخصية في التجربة ـ الى انه تجاهل منهجه تماما ، وبدا كأنه من اصحاب المنهج الاستقرائي كل مهمته احصاء الوقائع ووضعها في طرف المعادلـــة ليكمل المعادلـــة بوضع النتيجة في الجهة الاخرى ..

كيف كان ذلك ؟. لنتتبع القصيدة :

في المقطع الاول يأتي هذان التساؤلان :

كل حصادك من ماضيك الاخطاء
فلماذا تنهك جسدك في السعي ؟
واذا كنت تخاف ملامة اصحابك
فلماذا ترشقهم بالمـاء ؟

هذان التساؤلان يضعاننا امام الصورة التالية : انسان في مجتمع .. هو يسعى فيخطىء ، ويؤثر الخطأ على الاخرين .. هو يعبث فيتعرض للوم .. فاذا اراد ان يتلافى الخطأ والتقريع فما عليـه الا ان يتوقف . وهذا مستحيل .. وما دام مصيره الموت ، فلماذا يعبأ بالنتائج المترتبـة على ممارسته مظاهر الحياة ؟

وهكذا ما أن يدرك الانسان مصيره حتى يبدأ في التصرف علـــى اساس امتلاك ارادته وملء حياته . والاستفادة منها الى اقصى مدى ...

وفي المقطع الثاني يأتي اختيار الثلج الاسود ـ كرمز للجنس الذي هو غريزة من غرائز الانسان ـ واختيار الجنس ليس ناتجا عن كونـــه المشكلة الوحيدة في وجود الانسان ، ولكن لان القصيدة لا يمكن ان تعالج على انها احصائية ، وكذلك لان التجربة ارتبطت بهذا الموقف وعالجتـــه ضمن اطار كلي من ايجاد المبررات ، ومن معالجة التجربة الجزئية لانسان ضمن اطار المجتمع ككل ..

واخيرا .. اقول كلمـــة

بقلم : عبد الرحمن غنيم

الانسان يملك الغريزة .. ولتكن الغريزة هي الجنس .. لكنه مقيد بمثل يفرضها عليه المجتمع ..

كانت تضطرم الشهوة في
وتبحث عن ثلج أسود
لا يعرف حـــد
لكني كنت مقيد .

فمأساة الانسان ـ في حدود هذه التجربة ـ هي عدم اشباع غريزة من غرائزه الطبيعية .. لاسباب ليست صادرة عن ذاته او ارادته وانمـا هي مفروضة عليه من الخارج ..

وحين ادرك هذا الانسان مصيره ووجوده اتخذ الموقف الصحيح .. الموقف المنسجم مع طبيعته ..

امـا اليـوم
حين اضطرمت في نفسي نار الرغبة
سرت الى الثلج الاسود اطفئها فيه
وغدا ساسير له ايضا ..

هذا يعني انه لا يعتبر الموقف الجديد الذي اتخذ زلة بدليل انـــه سيعود من جديد اليه بمحض ارادته ..

اصبح هذا الانسان يواجه مصيره دون عقد .. لكن مشكلة كتلـك التي اشار اليها نصار ستثور .. سيقال « هذه دعوة سافرة لتدميـــر الجانب الانساني من الانسان باسم الحفاظ على الانسانية » .. سيقال : فلان انحرف .. لقد اغواه الشيطان . .فما هو الشيطان ؟

... لكني حين اتاني الشيطان اليوم
شاهدت فتاة باهرة الحسن
بعيون خضراء جميله
ونظرت لنفسي
فاذا اظفاري اطول من ان امنعها
من ان تلمس كتل الثلج الاسود
واذا في رأسي قرنان طويلان
وبصدري قلب أسود
يضحك .. يضحك من اعماقه ...

اذن . كان هناك مؤثر خارجي ـ هو الفتاة ـ واستجابة طبيعية . لكن صاحب التجربة كان يشعر بازدواج في الشخصية .. كـــان يقف حائرا بين نارين .. كل نازعة فيه تدعوه وهو يرى الفتاة .. وفي نفس الوقت تنقضي كل مثل ومعتقدات المجتمع التي تلقنها على تفكيره فتصور نوازعه بتلك الصورة التي اعتاد المجتمع أن يضعها للشيطان باظافـــره الطويلة وبقرنيه السوداوين وقلبه الاسود .. هذا هـــو الصراع بيـــن الانسان وما فرض على الانسان .. لنقف عند صورة جزئية من المشهد :

وبصدري قلب أسود
يضحك .. يضحك من اعماقه !

ان القلب في مكانه وفي لونه الطبيعي لم يتغير .. فمن اين اتـــى القلب الاسود ؟ ومن اين اتت القدرة على رؤية القلب وهو مختف تحت العظام ؟ ان الاحساس بضحك القلب هو الاحساس الممكن والطبيعي امام المشهد اما رؤية لون محدد له فهي خارجة عن طبيعة الانسان وهـــي وليدة ما بثه فيه المجتمع من أفكار .. والشيطان في حد ذاته .. هـــل كان له وجود في المشهد ؟ كلا .. والا لاتى من الباب الذي دخلت منـــه الفتاة او احد النوافذ .. لم يكن الشيطان الا الانسان المسكين الـــذي تتنازعه المثل والقيم وتحد من حريته ومن التصرف حسب طبيعتـــه ..

اذن فمأساة الانسان ليست في كونه يحمل قرني ابليس وقلبه ـ كما اعتقد الدكتور احمد كمال زكي ـ وليس الانسان هو الذي يحمل قرني ابليس وقلبه ـ كما أعتقد الشاعر نصار عبد الله ـ ولكن الانسان هو الانسان المتحرر من وطأة التصورات والقيود المفروضة عليه .. فالشيطان خرافة .. والانسان هو الانسان ..

ويأتي المقطع الرابع .. والوم الناقدين لانهما تجاهلاه .. هذا المقطع يربط بين الشيطانية والوضع المادي .. وهو في الواقع لا لزوم له في القصيدة .. وهو دخيل على التجربة .. ويبدو ان نوازع خفية في نفسي قادتني اليه لاخفف من وطأة ما انا قادم الى تقريره وما قررته في التجربة بمحاولة أيجاد مبرر للتفسخ.. وربما كان لنزعتي الاسلامية، ولاعتقادي ان الحرمان وتأجج الرغبة سيزولان لو رفع الحاجز المادي من الحياة .. لو اصبح الزواج كحل ممكنا للجميع .. ولكن مهما بررت فانه يبقى تقمصا لشخصية المفكر ـ حسب رأي الدكتور احمد ـ وابتعادا عن التجربة ..

ويأتي المقطع الخامس :

اتخفى خلف الكلمات الحلوة

اتظاهر بالورع الاوسع من أي حدود !

هذا المقطع اعتبره الدكتور احمد كمال زكي سببا من اسباب مأساة الانسان .. وفهمه الشاعر نصار عبد الله على الوجه الصحيح حين قال ان الانسانية تعني العودة للصدق .. وفي أطار التجربة .. أن الانسان الذي امتلك ارادته حاول في البداية أن يخفي عن الاخرين ذلك .. لانه يخشى أن يواجه المجتمع .. لكنه اكتشف ان الاخرين مثله .. فقرر ان يصدع بما يراه حقا وهو يعرف ان التوبيخ والطعنات ستحيط به من كل جانب اذا فعل . تماما كما فعل نصار حين اتهم القصيدة بمحاولة تدمير انسانية الانسان ..

ولكن من بين افراد المجتمع ـ وهم عادة المقربون لصاحب التجربة ـ من سيتظاهرون بالبكاء من اجله . ولانه يعرف انهم يفعلون ما يفعله ويخفون شخصيتهم فانه يسارع الى اتهامهم معتبرا انهم يحاولون ان يكملوا حلقة خديعتهم بجعله كبش الفداء .. ويقرر موقفه .. وهنا يبدأ صاحب التجربة متقمصا دور المفكر وسواء كان هذا من صميم التجربة او من خارجها فقد تجاهله الناقدان ربما لانهما لم يدركا فحوى القصيدة .. ولذا يلخص صاحب التجربة موقفه :

ان كان وجودكم قدرا كتب عليكم

فلتحيوه كما كتبا !

هكذا بكل بساطة .. وبدون تعقيد ..

لكن الرد السريع المتسرع الذي لم يفهمه نصار هو أنهم سيقولون : ((اذن .. تريد ان يصبح انسان العصر ذئبا في غابة)) .. وان دل هذا على شيء فعلى مدى تأثرهم بالقيود التي فرضها المجتمع والتي تصور كل خروج عن القيم الموروثة او المفروضة عودة الى الحيوانية .. ولذا يسارع صاحب التجربة الى الرد :

لكني جئت اقول لكي : ان الانسان

قد خلق ليبقى انسانا

لا ليشبه بالحيوان .

والمأساة .. هي ان الذين يحيطون بهذا الانسان الذي ادرك وجوده لم يفهموا هذا الانسان أو تعاموا عن فهمه لان منطق العصر المثقل بفوغائية المنطق الذي لا منطق فيه يثقل تفكيرهم .. فجاء نقد الناقدين تأكيدا لما ذكرته القصيدة في نهايتها عن مأساة الانسان ..

لا اريد ان اقول كما قال الاخ نصار ان في القصيدة نواة لفكر ايديولوجي متكامل .. ولكنني اريد ان اسأل القارئ العزيز والناقدين الصديقين : هل يوجد في هذه القصيدة اكثر من مسخ لافكار الوجوديين؟

لا اعتقد انهم سيجدون اكثر من ذلك .. ومع ذلك فقد أختلط الفهم على الناقدين .. وكنت انتظر ان يقولا لي : ((قديمة !)) .

القاهرة — عبد الرحمن غنيم

حول الاخطاء العروضية

في قصائد العدد الثامن

بقلم خالد الخشان

انه لما يؤسف له حد ، ان يقع بعض الشعراء ـ وبالاخص اولئك الذين يتيح لهم مستواهم الفني ، نشر قصائدهم في مجلة راقية ، كمجلة الاداب ـ أقول انه لمن المؤسف ان يقع هؤلاء في اخطاء عروضية ، اصبح من المعتاد والمفروغ منه أن يكون كل الادباء ـ لا الشعراء وحدهم ـ ملمين ، الماما جيدا بها .

والذي أثار دهشتي ، ان معظم القصائد المنشورة في العدد الثامن من الاداب ، وقع ـ الى حد غريب ـ بل غرق في اخطاء عروضية ، قد تستفز اذن حتى القارئ العادي .

لقد قرأت مرات عديدة ، في صحف ومجلات عربية ، مقالات خبيثة تتهم فيها الاداب بانها تشجع الشعر الحديث ... ثم تكيل الشتائم واللعنات لمتزمي هذا اللون من الادب ، ومريديه ، ومشجعيه . وانا لا ارى انه من الحسن ان نصنع بايدينا كوى تستطيع ان تطل منها تلك الاقلام البالية لمهاجمة الشعر الحديث .

وانا اقول ـ اذا سمحتم لي بذلك ـ ان على ((الاداب)) ان تمحص جيدا النتاج الذي تدفق الى النشر ، ولو انني ، اقدر تمام التقدير جهود المجلة التي تبذلها لتلافي مثل هذا بأي شكل من الاشكال .

وهذا الذي ارجوه ـ بكل احترام ـ من المجلة ، ارجوه ايضا من نقادنا العرب الافاضل ، فان على عاتقهم تقع مسؤولية رفع مستوى الشعر ـ لا مضمونا فحسب ـ بل وشكلا ايضا ، ليساهم الجميع في تطويره ، نحو الافضل .

والذي احزنني ، ان اقرأ نقد قصائد العدد السابع من الاداب للدكتور ماهر حسن فهمي .. فأرى انه قد اتهم قصيدة ((فرج صادق)) المنشورة في العدد السابع ، بانها وقعت في خطأ عروضي ... وقد شخص الدكتور ماهر هذا الخطأ في عبارة ((في حافظة النقود)) ... ولو التفت الدكتور ماهر جيدا الى الشطر الذي قبل هذا لوجد ((في بيتك السري)) فتصبح ((في بيتك السري ، في حافظة النقود ، في النعاس)) ... حيث لا خطأ عروضي ، ولا هم يحزنون !!.. وبهذه المناسبة انا اقترح على الاخوان الشعراء ان لا يفرطوا بتقطيع اشطر القصيدة كيفما أتفق ... لئلا يتكرر مثل ما نحا اليه الدكتور ماهر حسن فهمي .

وقصائد العدد الثامن حافلة بالاخطاء العروضية مع الاسف . ولم تسلم منها سوى قصيدة ((الراحل والكلمات)) للشاعر حسن النجمي، فهي قد جاءت سليمة معافاة ، ولو انني اعتقد ان الخطأ العروضي قد جاء ـ في الاصل ـ خطأ مطبعيا ، في قصيدة ((حفنة رماد)) لمحيي الدين فارس ، وقصيدة ((حين تموت زهرة الصبير)) للشاعر ((سعدي يوسف)) وقصيدة ((حمدية والغد الاخضر)) لعلي السبتي !!. ذلك ان تفعيلة قصيدة محيي الدين هي ((مستفعلن فاعلاتن)) وهي من اللون العمودي . كان البيت الاول فيها :

انْ اقبل الـ موت يوما ـ ـ ـ ودق بـا ـ ـ بي وحيا

مستفعلن ـ ـ فاعلات ـ ـ ـ مفـاعلن ـ ـ فاعلاتن

ولكن البيت الثاني كان :

وفي كؤو ـ ـ س خمر ـ ـ ـ تراعشت في يديا

مفاعلن ـ ـ (علاتن) !!؟ ـ ـ ـ مفاعلن ـ ـ فاعلاتن

لهذا ، فان التفعيلة الثانية ((علاتن)) تحتاج الى ((فا)) لكي يستقيم الوزن ، والخطأ المطبعي الذي اعتقده جاء في ((كؤوس)) واظنها كانت ((كؤوسي)) ورد فيها هذا الشطر :

((وفي فو ..... هة القمقم))

مفــاعيــــ   مفــاعيلــــن

فهو يحتاج الى « لن » فـــي التفعيلة الاولـى واغلب الظـن ان هنالك كلمة معينة قد سقطت في الطبع .. اذ انني لا اصدق ان سعدي يوسف « يستطيع » ان يقع في خطأ عروضي فهو شاعر متمكن .

ثم قصيدة علي السبتي ... وهي على نفس تفعيلـــة سعـدي « مفاعيلن » وقد ورد فيها « فينفتح موصد الطرق » واظن النون في « ينفتح » زائـدة .

اما القصائد الاخرى ، فقد وقعت في عشرات الاخطاء العروضية!! ولا ادرك سببا لذلك سوى عدم دراية هؤلاء الشعراء باحكام العروض !

فقصيدة «بحيرة النقب» لهارون هاشم رشيد من بحر الرجز، وهي عمودية والمفروض ان تلتزم جيدا وكليا بقوانين العروض واصوله .

ففي البيت الاول يقول :

بحيـــرة الـ لجيـن يـا   بحيـرة الـ « نقبْ »

مفـــاعلن   مفاعلـــن   مفـــاعلن   « علن »

ثم لا ادري كيف استساغ ان يقول في البيت الثالث :

أمـواجـ الـ   معرجـا   ت بالكفا «ح والغضب»

مفـــاعلـن   مفـــاعلـــن   مفاعلن   « مفاعلن !! »

ثم يعود في البيت الخامس الى « علن » . وفي البيت السابع الى « مفاعلن » ! وفي البيت الثامن يعود الى « علن ! » . وفي التاسع الى « مفاعلن » !! وفي البيت العاشر « علن !!!! » .... هذا في المقطع الاول من القصيدة .

اما المقطع الثاني ، فتأتي كل ابياته على ضرب « مفعلن » . امـا المقطع الثالث فانه يقع في نفس ما وقع فيه المقطع الاول .

وفي المقاطع ، الرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع ، تأتي « مفاعلن » دائما مما يدلك اكثر على ان الشاعر قد وقع فعلا في المقطع الاول والثالث باخطاء عروضية . وهو لا يكتفي بكل هذا ، اذ يطلع علينا في اخر بيت من المقطع الاخير بخمس تفعيلات ، وقصيدته كانت ماضية في كل مقطع باربع تفعيلات :

ونلتقي ونلثـم الـ حفـاف والـ ضفاف يـا بحيرتي

مفاعلن   مفاعلن   مفاعلن   مفاعلن   مفـاعلن

هذا في « بحيرة النقب » .

اما قصيدة « الطعنة » للشاعر عبد الرحمن غنيـم فانهـا على تفعيلة « فعلن . فعلن . فعلن . فعلن » ولكنها وقعت ـ كما يقـع الكثير من القصائد التي على هـذا البحر ـ بخطأ « مزمـن » ! ملازم للخبب ... فهو بحر صاحب . يخدع الشاعر بموسيقاه التي تشبه « دربكة الخيل » ولكي لا اطيل فانني ساورد مثلا واحدا فقط !

عـاد ابي يحـ مـل ذكـ رى الايـام الـ ـمره

فعلـــن فعلـــن فعلـــن فعلـــن فعلـــن فعلـــن

ومتـى جـــاء الـ ليل وسرنــا للسهـ ... ره

فعلـــن فعلـــن فعلن فعلن فعلـــن « فع !! »

علما ، بأن هذا الخطأ يتكرر في معظم اشطر القصيدة . ولقـد تحدثت طويلا الشاعرة « نازك الملائكة » عن هذا الخطأ الذي يغفل عنه الكثير من شعرائنا ، وحتى الكبـار منهم ... في كتابهـا « قضايا الشعر المعـاصر » .

اما قصيدة « فصل من الحكاية » لفتحي سعيد فتكاد تكون مغرقة في الاخطاء العروضية ! فهي على تفعيلة الرجز « مفاعلن ... الـخ » وسببه كثرة الوقوع باخطاء عروضية في هذا البحر ، هو ما يثيره مـن سهولة وانسيابية ، واستطراد ، ولا ريب في ذلـك فقـد كان اجدادنا يسمونه ، « بغل الشعراء » لسهولة ركوبه !!

والخطأ الاول في القصيدة ، هو استعمال الشاعر ضرب «فعولن » في نهاية الشطر ثم لا يلبث ان ينسى فيستعمل في نفس القافية «كن» ... « وتطير »"الـ « فعو » المسكينة !... كما في هذا المثـال :

وتفتـح الـ   ابواب للـ   قيـامه

مفـاعلن   مفـــاعلن   « فعولـن »

ثـم يقول :

على فـم الـ   ريــاح حط   طت اليمـــا   « مـه »

مفـــاعلن   مفـــعلن   مفـاعلن   « لـــن » !!

ويتكرر هذا حتى نهاية القصيدة .

والخطأ الثاني هـــو وجود « مفـا » « متسللة ! » في منتصف معظم الاشطر ، دون ان ينتبه اليها الشاعر . مثل :

ام قهـوة الـ   ابريق تسـ   « كـر » الـ   ابعـــاد

مستفعلـــن   مستفعلـــن   « مفـــا » !   فعـــلان

ولو وضع الشاعر « حين » قبل « تسكر » لاستقام الوزن ! ولكن يبدو ان على الشاعر ان يضـع حفنة من « الحينـــات » في القصيدة لكي تستقيم .

ومثل هـذا في :

« أمرغ الـ   أشواق في   « شطو »! ... ط الارصفه »

وفي : « والبوح وا   « فـق » !   ينـداح بالـ   سخونه »

وفي : « رحماك ما الـ   « لذي » !!   من بعدها   نلقـاك»...

وغيرهـا الكثير ...!!

والخطأ الثالث ، انه استعمل « متفاعلن » في

اشـــم فيـ ...   « ك الـى انفـلا »   تـة الحريق .

« متفـــاعلـــن »

وهذه التفعية لا يحق له استعمالها هنا .

وخطأ رابع ، هو استعماله « فاعلن » وهذا لا يجوز ابدا ، كما في هذا الشطر :

« وعندما   راجعت في   دفاتري الـ   « ربح والـ » خساره

« فـــاعلن »

اما قصيدة « رومانتيكية » لمحمد السيد نـدا فهي نفس تفعيلة قصيدة عبد الرحمن غنيم « فعلن . فعلن ... الخ » وهو يقع فيهـا بنفس اخطاء غنيم واغنيكم عن اعادتها مجددا .

اما « قصيدتان في العيد » لنصار محمد عبدالله ، وهي مـن الرجز ، فقد وقعت في ذات اخطاء قصيدة فتحي سعيد .

« قسوة ها ... ذه الترو   س والمعا   نع الكثي ... ره » « لـــن »

« قسوة دو   ر اللهوفي   احضانك الـ   مثيرة »   « فعولـن »

اما قوله : « صاحبي الذي قابلته اول ايـام رحلتي » فلا ادري كيف يستقيم ... فكل تفعيلاته مخطوءه .!!

واخيرا قصيدة القروي لعبد الجبار البصري ، وهي من الرجز ايضا اخطاؤها نفس اخطاء « نصار » و « غنيم » . وهي تلازمها حتى نهايتهـا .

هذا ما استطعت ان ارصده ، لذا فانني اظن ان ادباءنا الافاضل ، واخص النقاد منهـم ، سوف يهتمون ، اهتمامـا اكثر جدية بهـذه المسألة من اجل خدمة شعرنا العربي ... احتراما لتراثه وعروضنا جـزء منـه ..

خالد الخشان

العراق

مكتبـة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

اول طريـق الشـام

صاحبها : حسن شعيب

حول نقد كتاب ((الجوانية))

بقلم مصطفى لبيب عبد الغني

« ان العالم المنصف اذا ذكر شيئا احتج عليه وله واخذ حقه من خصومه ووفاهم حقهم والا فقد وقع العناد حماقة وجهلا » .

و « ان رد المذهب قبل فهمه والوقوف على كنهه رمى في عماية » .

عبارتان مضيئتان في الفكر الاسلامي ـ لجابر بن حيان وابي حامد الغزالي ـ تحددان بوضوح معالم النقد النزيه ، وتخطان ـ في جسم ـ امكانيات الكلمة الحرة وقدسية التزامها . وفحوى العبارتين دستور حقيقي لمن يأخذون على عاتقهم مسؤولية النقد وامانة الحكم ويشرفون بأدب الخطاب لنصح الاخر وتقويمه او لرده وتنبيهه او لشكره وتقديره .

***

ودواعي ذلك التقديم ما نشرته الدكتور « بنت الشاطىء » ـ بتاريخ الجمعة ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٦٥ بالملحق الادبي لجريدة « الاهرام » ـ من نقد هو ادخل في باب التعريض لكتاب الدكتور عثمان امين « الجوانية ـ اصول عقيدة وفلسفة ثورة » . فقد استهلت الكاتبة مقالها بقولها : « شاءت الظروف ان اقرأ كتاب الجوانية . وانا مشتغلة بقضية التأويل العلمي للقرآن الكريم » . وهذا الاستهلال وحده كاف عند اهل النظر في امور النفس : فالكاتبة تقرأ الكتاب بعينيها وذهنها مشغول بقضية اخرى ، وسنرى انها تقحم هذه القضية على الكتاب وتتلمس فيه ما يجيب عن مشاغلها هي لا مشاغل مؤلف الكتاب . واظن ان كل قارىء ليس في حاجة الى قليل ولا كثير من الفلسفة لكي يدرك ان هذا المنهج في النظر فاسد منذ البداية لانه ينأى بصاحبه عن « الموضوعية » او الحيدة والانصاف ، ودع عنك تصورك للمتصدرين للنقد عندنا وهم يقفون على الحركات الفكرية والادبية مصادفة و « عندما تشاء الظروف » .

ثم عقبت على ذلك بقولها : « ولم يخطر ببالي قط حين بدأت مطالعة الكتاب انني سألتقي فيه ببدع جديد من غريب التأويلات المقحمة على كتابنا الاكبر » . وهذه العبارة تكشف ـ عند العارفين ـ عن كثير ، فالكاتبة قد حرصت على ان تؤكد للقارىء شيئا غير ما يختلج في نفسها ، ولكن عقلها الواعي لم يستطع ان يكبت عن القراء ما يدور في عقلها الباطن ، واستميح القارىء ان يلاحظ معي اعراض هذه الحال ، فالكلمات كلها عارية : « لم يخطر ببالي قط » و « سألتقي فيه ببدع جديد من التأويلات المقحمة » . ثم بدأت فقرة جديدة بقولها : « كل ما قصدت اليه » ، وواضح ان هذا الكلام يناقض كلامها في مستهل المقال حين قالت : « شاءت الظروف ان اقرأ الجوانية » . ترى كيف يوفق القارىء بين مشيئة الظروف وبين مقاصد الكاتبة ؟ وبودي ان يتابع القارىء معي تحليل هذه الظاهرة النفسية فيقرأ ما بين السطور في قول الكاتبة : « كل ما قصدت اليه ، هو ان اعرف ما هذه الجوانية التي يقول بها الاستاذ الدكتور » . فليست الظروف هي التي شاءت ولكن الكاتبة هي التي ارادت ، وان تعرف ماذا ؟ . والقارىء ولا شك قد ادرك ـ بفطنته ـ من نفس تعبيرها « ما هذه الجوانية » ان الغرض المستور قد انكشف وهو التهوين من الكتاب وصاحبه قبل قراءة سطوره ، وتصيد المثالب فيه قبل فهم مضمونه .

ثم قالت : « وان اكون عند حسن ظنه بي » . والنرجسية في هذه العبارة صارخة رغم ظاهرها المتواضع ، فلئن كان المؤلف ـ حقا ـ قد اهدى الناقدة ـ ذاتها ـ كتابه فطبيعي جدا ان يرجو منها قراءته وهو يريد لها ـ كشأن كل قارىء لكتابه ان تنتفع به وتقف على ما فيه ، وغاية الامر انني لست اتصور ان المسألة ـ في ميدان الفكر ـ اظهار للفضل في غير موضعه ومن غير مصدره .

وبدأت الفقرة الثالثة من مقالها بقولها : « وقد مضيت مع الفصول الاولى من الكتاب دون ان اشعر بحاجة الى وقوف عندها او تعليق عليها » . وللقارىء ان يتساءل لم لا تشعر الكاتبة بهذه الحاجة ؟ وكيف ذلك وقد اردفت تعليلها لعدم اهتمامها بذكريات الطفولة والشباب بقولها : « وكان طريفا حقا ان اراه يستخلص مغزى جوانيا لكل خطوة خطاها على درب الوجود وكل كلمة كتبها او خطبة القاها . « ولعل القارىء يتساءل معي : اليس استخلاص مغزى جواني لكل قول او فعل انساني شيئا خليقا بأن يستوقف الناقد الواعي ؟ واذا كان هذا الاستخلاص جهدا فكريا « طريفا حقا » كما تقول فلم لا تشعر بالحاجة الى الوقوف عند هذا اللون من الادب الفلسفي وهو باعترافها جديد وطريف ؟ ومع انها لا تشعر بالحاجة الى التعليق على الفصول الاولى من الكتاب نراها تتحدث عنها بشيء من الافاضة والاقتباس فتخصص لها نحو ثلاثين سطرا من مقالها ، كما تختتم كلامها عنها بقولها : « على هذا النحو مضى الاستاذ المؤلف يفسر كل خطواته وسلوكه تفسيرا جوانيا دون ان انكر من امره شيئا » .

ثم عابت الدكتورة الناقدة على المؤلف انه ترك ما يدري ليخوض فيما لا يدري « بدعوى انه غير متخصص في تفسير القرآن والحديث ، وانه يفسرهما على هواه . وهذا النقد ينطوي على قضية غريبة في حد ذاتها . والاغرب منها ان تدافع عنها استاذة للادب لم تتخصص هي نفسها لا في علوم الفلسفة ولا في « علوم الاسلام » ، فهي على ما نعلم من خريجات قسم اللغة العربية بكلية الاداب . ترى ـ وفقا لمنطقها ـ من اين جاءت لها تلك الدراية وذلك التخصص والتفقه ؟ على انه من قال بأن فهم القرآن والحديث وقف على المتخصصين بحيث لا يباح لمسلم ان يستشهد بهما في امر من امور دينه او دنياه . اننا لو طبقنا وجهة النظر هذه لكان لزاما علينا ان نرفض ان يكون من بيننا رجال ـ من خيرة علمائنا الذين نعتز بهم ـ لانهم يشتغلون بعلوم لا تدخل ضمن تخصصاتهم ، كما وانه ان يكن لدعوى التخصص هذه وجاهتها في العلوم الطبيعية والتكنيكية فان الامر ليس بمثل هذا التعسف عند النظر في امور النفس والعقيدة التي تند عن كل مقياس براني . ولتكن الدكتورة الناقدة على يقين من ان باب المعرفة الاصيلة هو ارحب الابواب جميعا . حقا لقد جلت عن ان تكون شريعة كل وارد ولكنها ما كانت يوما ضنينة على عشاقها ممن يتخذون للامر عدته من طول جهد وتحصيل ومعاناة . وليست المسألة في نهاية الامر احتكارا للولاية ولا اغتصابا للهداية ولا استئثارا بالدراية ، بل التجربة قائمة على ان من البسطاء من لو خلى بينه وبين نفسه ولو أوتى من اللسان شيئا من حلاوته ومن التعبير بعضا من طلاقته لانتظمت خواطره درا ولجاءت تأملاته تحفة للسالكين ، وسبيل الناقدين بعد ذلك هي ان يتناولوا سائر صور التعبير وفق مقاييس تنبع من ذاتها دون احتكام الى مزاعم التخصص المقيتة او الى احتكار الالقاب و « الكراسي » ادام الله بقاءها !

وتأخذ الدكتورة الناقدة على المؤلف تفرقته اللغوية بين كلمتي « قوم » و « امة » في معرض الحديث عن جوانية اللغة العربية ، ثم تسوق من الشواهد القرآنية ما تظنه يهدم فكرة الاستاذ دون ان تدري في الحقيقة مقصده من دلالتيهما . على ان استقراء الآيات ـ جميعها ـ التي وردت الكلمتان فيها ـ وهي مسألة اغنانا عن بذل الجهد فيها الاستاذ « محمد عبد الباقي » في معجمه المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (انظر كلمة « أمة » او « أمم » ص ٨٠ و « القوم » ص ٥٨٢ ـ ٥٨٦) ـ هذا الاستقراء بعينه يؤكد صحة دعوى المؤلف ، وفات الدكتورة الناقدة انه لم يقصد بتلك الوحدة الجوانية التي تفصح عنها دلالة لفظة « أمة » ان تكون رباطا من اجل الخير على الهدى والصلاح بقدر ما هي رباط يؤلف بين العقائد والمسالك والاهداف كائنة ما تكون طبيعتها . كما ان كلمة « قوم » لم ترد في القرآن الكريم الا كاسم موصوف او مضاف او بمعنى جمع من الناس او الغرباء ولا يفهم منه اية دلالات قاطعة على وجود روابط روحية جوانية بين افرادهم ، على حين يكثر ورود كلمة « امة » دون نسبة او اضافة او ان تكون موصوفة بصفة . وبوسع أستاذة الادب ان تعيد الرجوع الى معاجم اللغة !

واخرى تأخذها الناقدة على المؤلف في اقراره بحرية الارادة كمسلمة في الاخلاق الاسلامية ، وتعجب من انها لم تكن قط من المسلمات وانما كانت مثار جدال وكان ثمة فرق اسلامية تقول بالجبر في مقابل الحرية اما مسألة الآيات الاربع التي ترى الدكتورة ان المؤلف قد لاذ بها بعد طول حصر وتصيد فعجيب منها هي ، لان بالقرآن آيات عديدة واضحة الدلالة في ذلك ودع عنك الاحاديث النبوية العديدة . والمؤلف لم يتجاهل رأي الجبرية ـ او القائلين بالجبر ـ بأن المخلوق مسير بارادة الله ومشيئته ـ كما ادعت الناقدة وانما هو كان بصدد الحديث عن الحرية في الاخلاق كمسلمة ولم يكن بمعرض التناول التاريخي للجبر والاختيار وما احاط بدعاويهما من ظروف سياسية وشعوبية وعقائدية يعلم مراميها كل دارس لفرق الاسلام . وغاية المؤلف هنا تنصب على فهم نصوص القرآن ودلالة الاحاديث ـ في ذاتها ـ ومن خلالهما ، وهما المصدران الاصيلان لفهم الاسلام ـ فيما اعتقد ـ اقطع بأن القرآن يسلم تسليما اكيدا بالحرية وبالتكليف . اما الآيات الاربع الاخرى التي اوردتها الناقدة بيانا للجبر في الاسلام فذلك من قبيل فهمها هي لتلك الآيات التي يسهل تأويلها جميعا بحيث تتصرف الى مناحي اخرى تتعلق بعناية الله تعالى ورعايته وقدرته وبقصور حول الانسان وان طال مداه ، لا بتعطيل الحرية الانسانية . فالآفة الكبرى فيما يظهر لنا هي النظر المبتور الى القرآن عند تفسير آياته دون النظر اليه في شموله ومن الزاوية التي تحدد معنى الآية وفقا لظروف نزولها في حياة الرسول واحداث المسلمين ووفق منطق اللغة العربية ووفق التدبر السليم .

اما الثالثة العجيبة والغريبة التي اثارتها الناقدة فهي حينما توهمت ان بالامر خلطا من المؤلف بين الجهاد بالانفس والاموال وبين السعي لكسب الرزق ، فان العجب يبطل والغرابة تزول لو نظرنا الى مفهوم الفعل الانساني او السعي ـ على اطلاقه ـ الذي هو ومجلى الذات الحقيقية من وجهة النظر الفلسفية التي تنأى به عن الهبوط في تفصيلات جزئية ، سواء أكان ذلك الفعل قتالا في حرب او سعيا لرزق في تجارة او صناعة او زراعة او غير ذلك من ضروب الفعل الانساني المنتج اذ المسألة هنا هي مسألة البذل والانشاء والاسهام الطيب من أجل الحياة والعمل الدافع بقوة الى عمران الارض وتأكيد خلافة الانسان ، وذلك في صميمه عبادة حقيقية يزكيها الدين الاسلامي وليس الامر أمر دروشة وخلوة او دعة وتراخ او كسل واستمتاع بالترف كما انه ليس على النقيض انكبابا مهلكا على اللذات او تحصيلا للمال ، فالجهاد بالنفس بذل والجهاد بالمال بذل وتحصيل الرزق الحلال بذل وكل ذلك مأمور به شرعا ولا يستوي مع القعود . اما استدراك الناقدة بأن الغنى في القرآن غنى النفس فعجيب منها لان الاسلام دين اخرة ودنيا ودين عمل في الله وبالله بالقدر الذي تنصلح به حياة البشر ، وانه وان كانت تسود في الاسلام نعمة افتقار ملح الى الله فما مست روح هذا الدين ابدا تزكية الفقر او التسليم به . وكنت ارجو مخلصا للناقدة ان تتريث وهي تقرأ ذلك الفصل من الكتاب حتى نهايته .

اما قولها ان المؤلف ينقل الاحاديث بغير اسانيدها دون اشارة الى مواضعها فقول غير صحيح على اطلاقه ولم يقم عليه الدليل . واما اخذها على المؤلف انه يفتي بصحة الحديث استنادا الى ما اسماه « النقد الباطني » ومكتفيا به بغض النظر عن صحة السند ، فان المؤلف يقول في ذلك ما نصه : « ليس هنالك ـ وفقا لمنهج « النقد الباطني » ـ سبب واحد يدعو الى ان يكون ذلك الحديث (ويقصد به الحديث : لكل امرىء جواني وبراني ..) « مصنوعا » او « منحولا » او « مدسوسا ». وكان بوسع الناقدة الحريصة على تصحيح افكار المؤلف ومنهجه ان تدلل على عدم صحة هذا الحديث ـ تمشيا مع منطق المنهج العلمي في البحث ـ لا ان تأخذ عليه التجاءه الى منهج يقره وهو منهج « النقد الباطني » الى جانب الاسناد . على ان الامر انما كان يتعلق بورود حديث نبوي في اغلب معاجم اللغة وكتب الاحاديث اثباتا لان اللفظين « جوانيا » و « برانيا » لفظان اقرهما اللسان العربي . وما اكثر الشواهد الدالة التي اوردها المؤلف بكتابه من ص ٢٦٥ الى ص ٢٧٤ في هذا الصدد .

واما نظرة الدكتورة الناقدة الى شطط المؤلف في تفسيره للحديث النبوي : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا » . على اعتبار ان الايمان هو شيء جواني شرط لدخول الجنة وهي شيء براني ، اقول كان بوسع الناقدة ان تترفق قليلا وقفت قليلا عند مفهوم الفعل الاخلاقي باعتباره قيمة في ذاته ـ دون النظر الى نتيجته ـ وهي النظرة الاصيلة في الاسلام ، تلك النظرة التي تؤكد موضوعية القيم وثباتها رغم تغير الظروف زمانا ومكانا . وكان بوسع الناقدة ايضا ان تقف عند تأملات بعض المتعبدين في الاسلام ، اولئك الذين عبدوا الله حبا في ذاته لا خوفا من ناره ولا طمعا في جنته كأجراء السوء ، ولا تثريب على القائل بعد ذلك ان ثواب الجنة براني لو قيس بحلاوة الايمان وسحره الجوانيين . واظن الناقدة لا تغفل عن ضروب التشبيه الحسي التي يوردها القرآن للجنة والنار ويوم البعث ليقرب تصورها الى اذهان عامة المسلمين . هذا الى ان تحري فكرة الجوانية وتدبرها فلسفيا ـ وهو ما لم تحاوله الناقدة جادة ـ ينتهي بنا الى تأكيد العلاقة الوثيقة بين الجواني والبراني او بين الذات والموضوع وان كان لاولهما مكان الصدارة والاعتبار . فتلك الكلمة التي رأتها الناقدة غليظة والتي اردفتها بالعبارة الواردة في نهاية الفصل وفي سياق اخر تماما عن زيف البراني ، هذه الكلمة ما اظن المؤلف يعقب بها ابدا على حديث الرسول عليه الصلاة والسلام وانما هي تفرقة تبرزها الجوانية في الفكر والحياة وهي تفرقة ضرورية على كل حال ، وان كان منطق العبارة الواردة ـ ذاتها ـ لا يقطع بأن كل براني على العموم زائف .

وبعد ..

ماذا يبقى من حصاد نقد الدكتورة الناقدة ؟ يبقى ان المؤلف نقل اسم « سلمان » راوي الحديث « سليمانا » فأغضب استاذة الادب !

وماذا بعد عن فلسفة الجوانية واثرها وارتباطها بقيمنا وتراثنا . وماذا عن تقويم تلك الفلسفة العربية ؟ لا شيء !.. نعم لا شيء بالمرة . ولكن عفوا : أقصد من نقد النقاد حتى الان ! والله الموفق .

القاهرة — مصطفى لبيب عبد الغني

حول قصيدة

قرأت قصيدة « من لاجيء فلسطيني الى ايرهارد » منشورة بعدد (الاداب) حزيران (يونيو) ١٩٦٥ ، وهي للشاعر محمد جميل شلش ، انها من القصائد الحديثة الجيدة شكلا ومحتوى ، وقد اعجبت بها شخصيا ايما اعجاب ، ولكن لست ادري لماذا احسست بشيء من الامتعاض حينما وقعت عليها مصادفة ، منشورة مرة أخرى ، وفي الشهر نفسه ، بمجلة (الشعر) التي تصدر بالجمهورية العربية المتحدة .

انني بالطبع لا اريد ان اقلل من مكانة الشاعر العربي محمد جميل شلش ، كما لا اريد ان اتهمه بالنضب او بعدم الثقة بأمر من الامور، بيد انني في نفس الوقت حاولت ايجاد تفسير لهذا الامر . فقلت بيني وبين نفسي : « لعل الاخ محمد قد سها عليه انه ارسل القصيدة (للاداب) فعلا . لذلك وبينما هو يقلب بعض اوراقه عثر على القصيدة وحشرها مباشرة داخل غلاف ، وقذفها بسرعة في جوف علبة البريد .. ولم يتذكر الامر حتى طالعته القصيدة ـ كما طالعت القراء ـ منشورة في مكانين ، وفي آن واحد ؟ »

هذا بالطبع مجرد تخمين ...

وتخمين آخر .. هل لان القصيدة جيدة .. « وهي جيدة فعلا » لذلك شاء الاخ الشاعر ان يطلع عليها اكبر رقم من قراء العالم العربي.. وهو لم يشق في رقم توزيع احدى المجلتين ، فدفع بها الى الاخرى تدعيما لانجاح الفكرة ؟!

بور سودان ـ السودان — حسب الله الحاج يوسف